



الأمثال التركمانية في لهجة تلعفر: الزواج أنموذجا

حسن فرحان محمد

مدرس مساعد، كلية الآداب جامعة الموصل

خلاصة البحث

إن الأمثال الشعبية من الشمول ما يجعل الإحاطة بها عملا صعبا لا يمثله بحث أو مجلد، من هذا المنطلق حاول الباحث أن يركز بشكل مقتضب على محور حياتي واحد هو اخذ بعض الأمثال فهي كثيرة لما يمثل الزواج وعناصره البشرية، في نقاط توزعت على نوع الزواج المفضل في المجتمع المبحوث وهو (مجتمع مدينة تلعفر في محافظة نينوى في العراق)، ثم بحث شروط الزواج وتوضح لدور البنت في الزواج، مع بيان دور الفتى، وأخيرا رأي المجتمع تجاه موضوع الطلاق، مختتما البحث بخاتمة موضوعه.

المقدمة:

تعد الأمثال الشعبية ومضات فكرية واجتماعية تحمل إلينا العبرة المفيدة والحكمة البليغة لما خبره المجتمع من قبل فهي تراث يحمل في طياته خلاصة تجارب الأسلاف. من هنا فإنها ترتبط بالأزمة التي قبلت فيها، إلا أن الحكمة التي تحتويها تجعلها موافقة لمعظم الأزمنة دون أن نؤمن باطلاقياتها في قول الحقيقة، لان الحقيقة نسبية والنظرة فيها تتدرج وتتاسب في موقف معين دون آخر.



١) الزواج المبكر

يعد الزواج احد ضرورات الحياة الاجتماعية التي لا غنى عنها، رغم انه في بعض المجتمعات يلاقي صعوبة في ما يتعلق بارتفاع المهور، أو توفير السكن المستقل.. وما شاكل من معوقات واخذ المجتمع على عاتقه الاهتمام به (الزواج) واعد له المراسيم والطقوس حتى أصبح لكل مجتمع في ذلك مذهب خاص يحترم ويراعى.

انه على وفق تنوع المجتمعات في ثقافتها، وتباينها في أنماطها الحضارية تنوع الزواج من حيث مفاهيمه وتقسيماته، ومن هذه الأنواع الزواج بوحدة، تعدد الزوجات، الزواج من الخارج، أي خارج القبيلة، والزواج الداخلي، أي من داخل القبيلة، الزواج المقدس أي الزواج من خادمات المعبد من قبل الرهبان أو الكهنة والزواج المبكر.. وسواها من الأنواع مما ليس محل ذكره هنا.

وكل ثقافة تعبر عن تفضيلها لنوع ما من أنواع الزواج الأنفة الذكر بحسب نضمها الحضارية، وظروفها الاجتماعية والتاريخية. ولايشذ مجتمع تلغفر عن هذه القاعدة، فمال إلى تفضيل الزواج المبكر من خلال احد وسائل التعبير عن تفضيله وهو (الأمثال الشعبية) كقناة حافظة لتراث المجتمع الشعبي.

إن النظم الحضارية والظروف الاجتماعية والتاريخية، لا تتشكل من فوق، وإنما تتمخض عن واقع هو اقتصادي بالدرجة الأولى، خاصة إذا علمنا انه امتياز بالبساطة كونه زراعي، كان من جملة ما يقتضيه آنذاك الأيدي العاملة النشيطة منها فان الأمثال حرصت على تأكيد هذه النقطة بالذات فشجعت بكل وضوح على تزويج الفتاة منذ الصغر حيث يقول المثل "قيزي كوجوك ايكن كيش يه وير" فضلا عن هذا المثل "وسواهما من



الأمثال التي تحاول أن تؤكد ما أسلفنا قوله، حول دواعي قيام الزواج المبكر.

إن الإنسان كما يذهب علم النفس والاجتماع كائن تبريري، فهو دائماً ما يميل إلى إعطاء التبرير لعمله، وكأن مقتضى هذا العمل يصبح ضرورة لازمة لا غنى عنها يقول المثل "نه اولايدي يركون تويي كورايدم" انه بعبارة أخرى يجعل من هذا الزواج المبكر الأمل لما تبقى في العمر من بقية، انه يشجع عليه (الزواج المبكر) بشكل غير مباشر، بل ويبالغ في التشجيع الزواج المبكر بشكل مباشر وحريص حينما شبه عمل بعض الآباء على تأخير زواج بناتهم بكمن يطبخ رأس خنزير في عشاء كل ليلة، فهو يرتكب عملاً موقفاً لأنه يأكل كمسلم لحماً حرمة الشريعة الإسلامية، يقول المثل "قيزك ايولنماغي كيجرسه بباسي كيجة ده بردويز باشي بشرير".

٢) شروط الزواج

حين فضل المجتمع (التلغفري) الزواج المبكر على بقية أنواع فان الأمر لايعني انه كان النوع الوحيد الموجود في المجتمع، وإنما يعني الأمر وجوده إلى جانب بقية الأنواع، وهي لا تقل في الأهمية الاجتماعية عن بعضها البعض، من هذا الباب فان المجتمع حاول ان يدلل على هذه الأهمية بشروط فرضها على الزواج، ألزم بموجبها أفراد المجتمع حين يفكرون بمشروع الزواج.

لقد عبر المجتمع التلغفري عن شروط الزواج في أمثال شعبية ودعا أبناءه للالتزام بها. إن ما يمكن قوله عن شروط الزواج لمجتمعه تقليدي، محافظ، ومسلم بطبيعة الحال، هو المجتمع التلغفري، جعل من المرأة، رغم ادعائه في بعض الأحيان كسائر المجتمعات النامية بدنو مكانة المرأة جعلها في الصدارة الاجتماعية، بل جعلها المحور الأول الذي تبنى عليه الحياة



الأسرية كلها، وذلك حين جعل الشروط مقتصرة على ما تتمتع به المرأة من امتثال لها، فأصبحت بالنتيجة الشروط الزوجية صفات للمرأة.. الزوجة المنتظرة ووفق ما يأتي:

(١) صفات نسبية (الأصل والنسب) يقول المثل الأتي معبرا عنها بالقول "أصيل قيز اغير لغنجة التونة ده كر" مقرنا الأصل هنا بالذهب لأنه المادة الوحيدة التي لا يلقاها الصداً وهذا تدليل واضحاً على شرقية المجتمع التلعفري المؤكدة دوماً على الأصل والنسب.

(٢) صفات أخلاقية، وهي مكمل للصفات النسبية، حيث قيمتها الجمالية من قيمتها الأخلاقية لان جمالها يكمن في خلقها ويقول المثل الشعبي التلعفري معبر عن ذلك "اوزي كوزه ل اولماسين - عقلي كوزه ل اولسون".

(٣) صفات اجتماعية، وهي تتمثل فيما تنشأ عليه الفتاة فتصبح صالحة أو غير صالحة، وللام كما هو معلوم دور بارز في هذه التنشئة، من هنا حاول المثل الشعبي على أن يقرن الأم بالفتاة حين يختارها زوجة وينظر في طيب، وصلاح أمها، لان البنت على سر أمها كما يقولون، فقال المثل الشعبي في هذا الأمر "تنة سنة باخ قيزني ال".

(٤) صفات نفسية وتبقى الشروط السابقة وكذلك اللاحقة اقل أهمية من الشروط النفسية لأنها تدل على التعاطف الروحي والانسجام الفكري والسلوكي إذا ما أحسن الرجل الاختيار للزوجة مما يزيد من رسوخ فكرة الارتباط بل ويعمق مفهوم السعادة الزوجية ومن ثم السعادة بجميع أنواعها فتصبح الحياة حديقة غناء تفيض بالبشر والسرور "ايكي كيويول بر اولسة صماننخ (صماننخ) سيران اولور.

(٥) صفات عقلية، وهي تشير إلى الذكاء الاجتماعي حيث يتصرف الفرد بالسلوك المرغوب فيه دائماً، وغالباً مما يجعل الزوجة التي تتمتع بهذه



الصفات محبوبة دائماً، على خلاف المرأة الجميلة التي قد لا تتمتع بالصفات العقلية، مما يجعلها مرغوبة لفترة زمنية محدودة، حتى الإنجاب على سبيل المثال، وعبر عن هذه الحقيقة المثل الشعبي قائلاً "كوزه لى سيوه للر ايوه كيجنجا - عاقلي سيوه للر اولب كيدنجا".

(٦) صفات نفسية.. لم تحضى هذه الصفات بالاهتمام من قبل المجتمع التلغفري، بل إن بعض هذه رغم جماليتها كبياض كعب الفتاة ورقته أصبحت سيئة عليها حين يقارن ذلك بجمال الخلق "طيوغيك اغنة باخما".

(٧) الالتزام بالنصيحة إن من بين شروط الزواج مما يؤكد على الاستفادة من الإرث الاجتماعي والأقوال الماثورة للقدماء من الآباء والأجداد، على اعتبار أنهم أعرف الناس بالحياة وجربوها، ومن جملة هذه الأقوال التي عبر عنها المثل الجمع بين الأصل، وبين تأمين الحياة المعيشية فلا ينجر الآباء لمجرد السمعة والأصل ويوافقوا على تزويج بناتهم، دون أن يحسبوا الأمر جيداً في بيان قدرة الزوج على توفير العيش الرغيد "قيزي يه معاش اوغلي يه اصيل".

(٣) دور البنت في الزواج

جاء في ميثولوجية الشعوب تصور بسيط مفاده "إن الله خلق الرجل.. ثم أتم من بعد عملية الخلق، خلق المرأة وغالبا ما تشير الأساطير إلى كون المرأة مخلوقة من ضلع الرجل بصورة أو بأخرى.. والطريف في الأمر أن جعل شعوب العالم في عصرنا مازالت تعد مثل هذه الأساطير مسلمات لا يجوز التصدي للجدل فيها تحت طائلة عدا ذلك مروقا من المعتقدات الدينية خاصة في مجتمعنا الشرقي الذي ظل يعيش حالة ازدواج فكري واجتماعي فهو من باب يجعل المرأة محور فكره وشرفه، ولا يسمح بتدنيسه، حتى لو



اقتضى ذلك أن يقدم نفسه ضحية لكلمة قيلت في شرف ابنته أو زوجته، وهو من باب آخر سلب منها حرمتها وعاملها بازدراء.

والمجتمع التلعفري لا يخرج عن هذا الحديث فاعتقد بقصور فكرها وعقلها فهو إذا ما تركها على حرمتها فإنها لا تتزوج إلا من هو أقل منها مكانة اجتماعية حيث لا تختار إلا العجري أو الزمار، إمعانا من الرجل في سلبته تجاه المرأة يقول المثل "قيزك النده اولسه يا قراجي الير يا مطريجي". "ايل اوجون اغلى يان كوزنك اولر قزني دوكميان دوزنناك اولر". بل انه عمل على ترسيخ هذه الفكرة بالقول "قيزك ورميان اوزن ووير". هذه الدلائل وغيرها هي التي سببت ضعفا في دور المرأة فيما يخص دورها في موضوع الزواج، بل وفي غيره من الموضوعات الحياتية الأخرى ولاشك أن هذا التصور الدوني للمرأة قد عملت المرأة نفسها على ترسيخه من خلال سلبيتها في دورها الاجتماعي الذي لا يلعب دورا كبيرا في تحديد مصير الفتاة، ولعل مهمتها الرئيسية لا تتجاوز الدعاء لابنتها في إن يرزقها الله بالبنين ويكثر من عددهم "بيدي اوغلان ننه سي اولايدي".

إن الإجحاف الكبير الذي ألحقه المجتمع بمكانة المرأة قد تجاوز أحيانا حتى حقها الطبيعي في التعبير عن مشاعرها تجاه ابنتها يوم يأخذها عريسها حيث تبكيها، فيأتيها زوجها متذمرا مما تبديه من عطف مبررا عمله بالقول أن ليس للفتاة إلا الزواج من خلال المثل الشعبي الذي يقوله في هذه المناسبة "قيزك يولي كشي يه ارواد سن باخ ايشي يه".

ولأن الواقع ليس مطلقا في مفاهيمه ومتغيراته، كانت السلبية للمرأة في مجتمع تلعفر التقليدي، بطبيعة الحال ليست مطلقة بعبارة أخرى انه كان هناك دور ما للأم بالنسبة لابنتها من خلال إعدادها وإعلام الناس أو النساء بشكل خاص بايجابيات ابنتها التي تفوق وحسب ما تدعيه دائما الأم ما يتمتع به الفتيان من صفات محمودة، مما يجعل مكانتها (ابنتها) عالية لا



تبدلها بمكانة الفتیان الاجتماعیة العالیة لأبناء الآخرين، وتعبر عن ذلك من خلال المثل "اوز قیزني خاك اوغلینة داکیشماز". فهي لا تنفك تردد فضائلها وتزوج لجمالها حتى تصبح (ابنتها) معلومة معروفة "ننه لي قیز به لي قیز... ننه سز قیز ده لي قیز" بالمقابل هناك الفتاة الیتیمة التي لا تجد من تزيكها في المجالس النسوة وفي ضوء ما تقوم به الأم من دور، فإننا نجد دائماً هناك صراع اجتماع بين الأمهات وبلغة المجتمع ما نسميه (الضرة) فتصبح كل أم ضرة للآخرى "قیزی اولانك كونوسي اولر".

وعلى خلاف الأمهات لا نجد هذا الدور بالنسبة للآباء الذين يشتركون جميعاً في مقولة واحدة المعنى، وهي أنهم لا يلاقون في تنشئتهم لأبنائهم بنينا وبناتا إلا الشقاء والتعب حيث ذهب عمرهم تدريجياً دون أن يحسوا به " قیز يالان اوغلان يالان عمروما دوشتی تالان".

إن المجتمع التلغفري الذي يفضل الزواج المبكر، لاشك يبرز من قيمة الفتاة الصغیرة بالمعنى العام بغض النظر عن دور الأبوين، ولذلك فقد تعرضت الأمثال التركمانية لها (للفتاة) وبينت انه لا بد أن ينتهي أمرها إلى الزواج طالما هي ضمن السن (العمر) الذي يفضله المجتمع، ويشبهها بحبة الخرز التي لا بد أن تلتقط يوماً ما "منجوخ بیرنده قالماز" متباهية بما هي عليه على العكس منها الفتاة الكبيرة السن (العانس ربما) فإنها على الرغم من تزيينها المستمر لاتحضى بنفس القيمة والاعتبار وقد أشار المثل الشعبي إلى ذلك بالقول "قاري قیز بزنانجه توي بطل اولر".

٤) دور الفتى في الزواج

على الرغم من كثرة الأمثال الشعبية التركمانية التي تعرضت للفتاة، فإننا لا نلمس ذلك بالنسبة للفتى، وقد يكون سبب ذلك هو الدور الرئيسي للوالدين أو الأب بشكل خاص، أو قد يكون سبب كونه رجلاً فهو بغير حاجة لصفات سوى صفتا الرجولة، والأصل مما جعله يشعر بالتعالي الى الحد الذي



يتصور إن من حقه أن يتناول حتى بالضرب على الفتاة (زوجة المستقبل)
"ازابا ارواد دوكماغ اسانندی".

إن هذا التصور للفتى ليس بالغريب فهولا يقوم بهذا السلوك إلا تأثراً بالمحيطين به فضلاً عن ما يكتسبه من صفات وراثية خاصة من جهة النساء. ولهذا السبب ولأسباب أخرى ليس هذا مكان بحثها دخل المثل الشعبي مباشرة إلى تصوير حالة الفتى، ضمن مراسيم الزفاف على العكس من الفتاة التي صورها قبل الدخول في مراسيم الزفاف، فيصور المثل الشعبي على سبيل المثال حالة اجتماعية طقسية تحدث حينما يأخذ احد المتزوجين (غتره) العريس ليهرب بها بعيدا كي يلقها في حضن العروس وبالمقابل يمنعه الآخرون فقال بهذا الخصوص المثل الشعبي "خوكوركانك صاروخي قابلمبيدي".

إن مصادر دور الفتى في موضوع الزواج قد يصل إلى حد الخوف عليه من الوقوع في الحب خاصة أثناء إقامة حفلات الزواج، خاصة وإن هذه الحفلات هي المكان الخصيب والميدان الحي للفتيات من اجل كسب ود الشباب، ولذلك فقد حذرت الأمثال الشعبية الفتيان من الوقوع في فخ حب حفلات الأعراس "تويده قيز سيومة".

(٥) الطلاق:

لقد حرص المجتمع التلعفري اشد الحرص على دوام الزواج وتقديسه ولذلك فقد صورت الأمثال الشعبية حالة الطلاق (بالتعاسة) وحتى إذا كان الزوج تعيسا، ولم يجني الشخص منه إلا الألم والتعب فان الأكثر تعباً وشقاءً بل وتعاسة هي إنهاء ذلك الزواج بالطلاق "ارواد الماغ كوئي ايسه بوشماغ اوننان كوئي دي".



أما وإذا كان الطلاق قد حصل فإنه من الأفضل إنهاء الأمر وقطع الصلة بشكل نهائي وعدم الالتفاف إلى ما تتمتع به المرأة من صفات ايجابية خلقية أو جسمية "ارواد بوشيان توبيغتك اغنه باخماز".

الخاتمة

لقد مثلت الأمثال الشعبية أصدق تمثّل ثقافة المجتمع ومعرفته لتمثيلها واقعه الحقيقي، ولذلك فإنها غدت مصدرا مهما من مصادر التراث التي رسمت جانب الزواج، وهي مما كشفت عنه حسبما توصل إلى ذلك الباحث شيوع وتفضيل الزواج المبكر. وبين في ذات الوقت مكانة المرأة الاجتماعية والتي تبين دنوها عن مكانة الرجل، مما فسح المجال للرجل للتندر بها أحيانا رغم اقرانه إياها قيمته الاجتماعية مما كشف عن ازدواج لدوره الفكري والاجتماعي ثم عرج الباحث على دور الفتى وقد وجدته ضعيفا وقد يكون مرد ذلك هو سيطرة الفعل الجماعي وبالذات دور الوالد في رسم طريق حياة الابن.. وأخيرا وفضلا عن ما بحثه من شروط فرضها المجتمع للزواج فإنه صور بالمقابل الحالة التي وصفها المثل الشعبي بالشقاء لحالة الطلاق. إن مما تجدر الإشارة إليه إن ما انتهت إليه الأمثال الشعبية لا يعني أن الوضع الاجتماعي لمجتمع تلعفر هو ذات قبل كذا عقد أو دقت ما قيلت فيه الأمثال.. لان التغيير الاجتماعي حقيقة حتمية لا فرار منها وانه وفي ظل ظروف كثيرة فان مكانة المرأة على الأقل قد أصابها التغيير ولم تعد على ما كانت عليه.

Turkuman Proverbs In Talafar Tung

Hasan Farhan Mohammed
Assist. Lec. Mosul University



Abstract

The popular proverbs has represented the most truthful representation of both society culture and knowledge, for its actual reality; therefore it became one of the main sources of heritage which drew one its sides that is marriage.

This side has revealed as the researcher has reached during his study ,the publicity and preference of early marriage, and during that time this has showed the woman's social position that is lower than man, and it enabled the man to make joke of her in front of his peers ,by which it revealed his duplicity in both intellectual and social role.

The researcher in this paper has showed the weak role of the young person and this is due to the dominance of the collective team action, especially the father's role in drawing the path of his son's life ,and at last, in addition to what the researcher has studied about the conditions that the society has imposed ,but it pictured in return the divorce as misery in the popular proverb.

What should be referred to is that popular proverbs doesn't mean that the social position of Talafar society is the same in the previous decades because the changeable society is a determinism fact with no escape from and in many circumstances the woman's position has changed and did not remain as it is.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

(١) بند اوغلو، عبداللطيف، اتاسوزلريميز ارشنتيرما - انجه له مه، وقار شيلاشنتيرما (بغداد، ١٩٨٨)



- (٢) ضابط شاکر صابر، عراق تورکمنلری اغزندة اتالرسوزی (بغداد، ١٩٦١)
- (٣) الداقوی، إبراهیم، "تقالید الزواج عند الترحمان" التراث الشعبي، العدد الأول، أيلول ١٩٦٣.
- (٥) قیاجی، مولود طه، الأمثال التركمانية قيمها الأدبية ودلالاتها التاريخية "التراث الشعبي، العدد التاسع، أيار ١٩٧٠.
- (٦) مسلم عدنان احمد محاضرات في الانترنتوبولوجية (الرياض. د.ت).

ثانيا: المصادر التركية:

ثالثا: المقابلات الشخصية

- (١) مقابلة شخصية مع السيد فلك اوغلو بتاريخ ٢٠٠٠.
- (٢) مقابلة شخصية مع السيد نورالدين بتاريخ ٢٠٠١.
- (٣) مقابلة شخصية مع السيد محمد سعيد مرجان بتاريخ ٢٠٠٢-٢٠٠٣.